الإعجاز في القرآن والسنّة

الإسلام دين العلم والعقل والملاذ الآمن للبشرية

بحوث المؤتمر الدولي المشترك الأول
إستانبول - 2023

تحرير
أ. د. محمود مصري

2

الإعجاز في القرآن والسنة

بحوث المؤتمر الدولي المشترك الأوَّل - إستانبول ٢٠٢٣

دار الإعجاز العلمي في إستانبول

الإعجاز في القرآن والسنة

بحوث المؤتمر الدولي المشترك الأوَّل – إستانبول ٢٠٢٣

تحرير الأستاذ الدكتور محمود مصري

الإعجاز، الإعجاز البياني، الإعجاز التشريعي،

الإعجاز الحضاري، الإعجاز العلمي.

هذا الكتاب نُشِرَ ضمن سلسلة الإعجاز العلمي، ١

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى، إستانبول. ٢٠٢٤م

ISBN: 978-625-95068-1-4 رقم الإيداع الدوليّ

مطبعة يلدز

YILDIZ MÜCELLİT MATB. VE YAY. SAN. TİC. A.Ş.
Maltepe Mah. Gümüşsuyu Cad. Dalgıç çarşısı Apt. No: 3/4 Zeytinburnu / İstanbul
Davutpaşa V.D.: 524 103 0856
Tel: 0212 613 17 33 Fax:0212 501 31 17

الإعجاز في القرآن والسنة

الإسلام دين العلم والعقل والملاذ الآمن للبشرية

بحوث المؤتمر الدولي المشترك الأوَّل

إستانبول - 2023

تحرير

الأستاذ الدكتور محمود مصري

الجزء الثاني

المحور الخامس

الإعجاز الكوني

الخلق والفيزياء والفلك

خلق الكون و إيجاده بين نظريَّات العلم الحديث
ومسلَّمات الأديان السماويَّة الثلاث

The creation of the universe between the theories of modern science and the postulates of the three monotheistic religions

أ. د. أنمار أحمد محمد

جامعة السلطان محمد الفاتح

كلية العلوم الإسلامية/ إسطنبول – تركيا

Prof. Dr. Anmar Ahmad Muhammed

Fatih Sultan Mehmet University

College of Islamic Sciences / Istanbul-Turkiye

هاتف: ٠٠٩٠٥٣١٧٧٣٦١١٦

aammuhammed@fsm.edu.tr

ORCİD: 0000-0001-8168-06

خلق الكون و إيجاده بين نظريَّات العلم الحديث

ومسلَّمات الأديان السماويَّة الثلاث

---------- أ. د أنمار أحمد محمد

ملخَّص البحث

تؤكِّد النظريات العلمية الحديثة أنَّ الكون نشأ عن طريق ما يسمَّى بالانفجار العظيم (Big Bang) أو (الكون المنتفخ)، والذي حدث في لحظةٍ من الزمن قبل ١٣,٧ مليار سنةٍ عندما كان كلُّ شيءٍ عبارةً عن نقطةٍ مادِّيةٍ لها درجةُ حرارةٍ وكثافة غايةٌ في العِظَم نشأ منها كونُنا بمجرَّاته ونجومه لاحقًا، ومنذ ذلك الحين وإلى اليوم هو في تمدُّدٍ وتوسُّعٍ مستمر. ذلك التمدد يعني أنَّ له بدايةً، والبدايةُ تعني الخلقَ، والخلقُ يعني الحدوث، والحدوثُ يعني وجود خالقٍ صانعٍ محْدِث لهذا الكون، على العكس ممَّا يدعي الملحدون وغيرُهم. وعلى الرغم من اتِّفاق نصوص الأديان السماوية الثلاث (اليهودية والمسيحية، والإسلام) مع الكثير من حقائق العلم الحديث -وهذا ما يفسِّر أصلَها السماويَّ- إلَّا أنَّها تختلف وتُناقض أحيانًا بعضَ حقائق العلوم التجريبية الحديثة، وما توصَّل إليه العلماء. ومن المؤكَّد أنَّ أغلب الاختلافاتِ والتناقضات التي ظهرت في نصوص الديانتين اليهودية والمسيحية تحديدًا التي خالفت ما عليه حقائقَ العلم الحديث اليوم هي بسبب عامل تحريف كتبِها المقدَّسة؛ الأمرُ الذي أدَّى إلى دخول الكثير من النصوص التي خالفت ما عليه حقائقَ العلم الحديث في مسألة الكون وغيرها. بالمقابل نجد أنَّ المكتشفاتِ العلميةَ وافقت ما جاءت به آياتُ القرآن الكريم وأكَّدتها على الرغم من اختلاف المفسِّرين في شرح وتوضيح تلك الآياتِ أحيانًا.

الكلمات المفتاحيَّة: خلق الكون، الانفجار العظيم، الأديان السماوية، سفر التكوين، القرآن الكريم.

المقدِّمة

الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على سيِّد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

جاءت الأديان السماوية لتأكِّدَ حقيقةَ وجود الله تعالى وخلقَه للكون وإيجادَه للأشياء وحرصت على تنزيهه تعالى واستغنائه عن خلقه ومنهم العالَمُ وغيرُه؛ حينما أوضحت حقيقةَ حدوث العالَم من العدم، ونفت قِدَمَه كما نفت قِدَم المادَّة التي خُلق منها (كما ذهبت إليه الفلسفةُ المشَّائيَّة). تلك المعاني وغيرُها الكثير أكَّدتها النصوصُ المقدَّسة للأديان السماوية الثلاث التي تناولت خلقَ الكون وإيجادَه.

تبنَّى علمُ الفلك الحديث فرضيَّةَ الفَلَكيِّ الأميركيِّ إدوين هابل التي ظهرت في عشرينيَّات القرن الماضي؛ وفحواها أنَّ المجرَّاتِ ليست ثابتةً في الكون، بل هي في تحرُّك وابتعادٍ دائمٍ عنَّا. كما ظهرت اليوم نظرياتٌ أخرى تحدَّثت عن فرضيَّة (الانفجار الدوري) والكونِ المتجدِّد وغيرِها، وهكذا استمرَّ خلقُ الكون وإيجادُه في التطوُّر عبر مراحلَ عدَّةٍ قدَّرها العلماء بمليارات السنين. ومن المؤكَّد أنَّ العلوم لن تقف عند هذا المقدار، بل ستظهر لنا العديدُ من التفسيرات العلمية للكون وطبيعته كلَّما تقدمت العلومُ وفُهِمتْ سننُ الله في الكون.

تلك المراحلُ التي حدَّدها العلماء لنشأة الكون وافقتْ ما جاء في الأديان السماوية الثلاث (اليهودية، والمسيحية، والإسلام) في كتبها المقدَّسة حين سَمَّتْها بـ(أيَّام). وعلى الرغم من هذا الاتِّفاق حول مسألة الخلق في أيَّام ستَّةٍ إلَّا أنَّ تلك الأديانَ تتباين في تفسير مراحل ذلك الخلق، كما تختلف في توضيح طبيعته.

ومن المؤكَّد أنَّ أغلب الاختلافات التي ظهرت في النصوص المقدَّسة للديانتين اليهودية والمسيحية تحديدًا كانت بسبب عامل التحريف الذي طال بعضَ تلك النصوصِ؛ نتيجةَ ضياعها وإعادةِ كتابتها من جديدٍ عن طريق الاستعانة بالحفظ الشفوي، وبقايا النصوص القديمة التي كانت بين أيديهم. من هنا دخل إلى تلك النصوص الكثيرُ من معاني التزييف والتحريف التي خالفت في العديد من

نصوصها العلمية ما عليه علومُ الفلك الحديثة، كما خالفت ما أنتجتْهُ العلومُ الإنسانية والطبيعيةُ بشكلٍ عامٍّ.

تناول بحثُنا بعض تلك المعارف الكونية ونصوصَ الخلق المقدَّسة في تلك الأديان السماوية الثلاث، نماذج سنُشير إليها في ثناياه ولا ندَّعي إحصاءَها كلَّها، فلا يمكن لبحثٍ صغير أن يغطِّي أغلب جوانب الإعجاز في نصوص الأديان السماوية الثلاث المقدَّسة أو حتى الاختلافَ والتباين في ما بينها.

أهداف البحث: جاء هذا البحثُ من أجل تسليط الضوء على آخر ما توصَّلت إليه نظريَّاتُ علوم الفلك الحديثة حول خلق الكون وإيجادِه، واسقاطها على ما جاء في نصوصِ علماء الأديان السماوية الثلاث وتفاسيرهم؛ من أجل الوصول إلى أهداف عدَّةٍ منها:

١- محاولةُ إثبات حقيقة وجود إلهٍ خالقٍ موجِد لهذا الكون من العدم كما أكَّدت عقائدُ الأديان السماوية الثلاث، وأشارت إليه نظريَّاتُ العلوم التجريبيَّة الحديثة.

٢- معرفةُ آليَّة فهم علماء الأديان السماوية الثلاث وطريقةِ تفسيرهم للنصوص المقدَّسة التي تناولت مسألةَ الكون وإيجاده.

٣-معرفةُ أماكن الاتِّفاق والاختلاف بين نظريَّات العلوم التجريبية وما جاءت به نصوصُ الأديان الثلاث المقدَّسة حول خلق الكون وإيجاده.

٣- معرفةُ أيٍّ من نصوص الأديان السماوية الثلاث كانت الأكثرَ تطابقًا مع نظريَّات علوم الفلك الحديثة والمعارف الكونية.

أسئلة البحث: حاول البحثُ الإجابةَ على أهمِّ تساؤلاتِه المتمثِّلة بـ:

١- كيف فسَّرت علومُ الفلك الحديثة نشأةَ الكون وإيجادَه اليوم؟

٢- ما هي أهمُّ النظريَّات العلمية التي توصَّلت إليها علومُ الفلك الحديثة حول

مسألة تكوين الكون وإيجاده؟

٣- ما هي أهمُّ نصوص كتب الأديان السماوية المقدَّسة حول طبيعة ذلك الخلق والإيجادِ، وكيف فسَّرها علماؤُها؟

٤- ما هي الديانةُ التي طابقت نصوصُها وآراءُ علمائها ما جاءت به مكتشفاتُ علوم الفلك الحديثة اليوم؟

ولا ندَّعي أنَّنا قد فصَّلْنَا الإجابةَ عن كلِّ تلك التساؤلات في هذه الدراسة الصغيرة، ولكنْ حسبُنا أنَّنا قد تناولنا أبرز نقاط الموضوع الرئيسةِ وأهمَّها وحاولنا الإجابة عليها.

منهج البحث: تبعًا لطبيعة البحث وتقسيماتِه فقد استعنَّا بالمنهج التحليلي الاستقرائي فيه؛ كي يناسب ما تمَّ الحديثُ عنه في ثناياه، كما استخدمنا أحيانًا المنهَج المقارَن إذا أردنا الإشارةَ إلى بعض نصوص علماء الأديان السماوية الثلاث وتفسيراتهم.

نتائج الدراسة: توصَّل البحث إلى العديد من النتائج التي يمكن أن نوجزَها بالنقاط التالية:

١- إثبات حقيقة أنَّ العالَم ليس ثابتًا، بل هو في حالة تمدُّدٍ وتحرُّكٍ مستمرٍّ تُدلِّل على حدوثه، وبالتالي أنَّ له خالقًا وصانعًا، على عكس ما يدَّعي أهلُ الإلحاد وغيرُهم.

٢- على الرغم من موافقة بعض نصوص الديانتين اليهودية والمسيحية ما أثبتتْهُ علومُ الفلك الحديثة، إلَّا أنَّها من جهةٍ أخرى وفي أحيانٍ كثيرة ناقضت وخالفت تلك النظريَّات.

٣-كان لتحريف الكثير من نصوص الديانتين اليهودية والمسيحية المقدَّسة، ودخولِ مرويَّات أهل الكتاب (الإسرائيليَّات) إلى كتب التفسير الإسلامي أثرُه

الكبيرُ في بروز التفسيرات العلمية الخاطئة في مسألة خلق الكون وإيجاده.

٤- طابقتْ آياتُ القرآن الكريم ما توصَّلت إليه علومُ الفلك اليوم من اكتشافات، على الرغم من تفسيرها أحيانًا من قِبَل المفسِّرين المسلمين بتفسيراتٍ بعيدةٍ عن جوهر معناها العلمي والمعرفي.

محتويات الدراسة: ووَفْقَ عنوان البحث وطبيعةِ منهجيَّته احتوى على: مقدِّمةٍ تناولنا فيها أهميَّتَه، وأهدافَه، وأسئلته، ومنهجه، ونتائجه، ومحتوياتِه. كما تمَّ تقسيمُه إلى ثلاثة مباحثَ رئيسةٍ، جاء المبحثُ الأوَّل تحت عنوان: خلق الكون وايجاده وفقَ نظريَّات علوم الفلك الحديثة. وجاء المبحث الثاني تحت عنوان: خلق الكون وفقَ منظور الديانتين اليهودية والمسيحية. وحمل المبحثُ الثالث عنوانَ: خلق الكون وفقَ منظور الديانة الإسلامية. وخاتمةً أدرجنا فيها أهمَّ ما توصَّلْنا إليه من نتائجَ في ثنايا بحثنا.

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين

المبحث الأوَّل

خلق الكون و إيجاده وفق نظريَّات علوم الفلك الحديثة

أوَّلًا: خلق الكون وتوسُّعُه

تُقِرُّ علومُ الفلك الحديثة أنَّ الكون ليس ساكنًا، بل يتمدَّد، وهذا الاكتشافُ له أهميَّةٌ فلسفيةٌ ودينية عميقة؛ لأنَّه يشير إلى أنَّ كونَنا كان له بدايةٌ، والبدايةُ تعني الخلق، والخلقُ يعني الحدوث، والحدوثُ يعني وجود خالقٍ صانع محدث لهذا الكون.

هذه الحقيقةُ استغرق الوصولُ إليها عقودًا عدَّةً من التجارب والتحقيقات العلمية حتى تمَّ تأكيدُها، بدأت خيوطُها في عام (١٩٢٩م) بعد اكتشاف حقيقة الكون المتوسِّع الذي حدث نتيجةَ انفجارٍ كبير سمِّي لاحقا بـ: (الانفجار العظيم)، منذ حوالي ١٣,٧ مليار سنة، ونتيجةً لذلك أصبحت مجرَّتُنا واحدةً من بين مليارات المجرَّات والنجوم في هذا الكون المرئي.[١]

بدأت قصَّةُ اكتشاف الكون مع عالِمٍ صغير يُدعى إدوين باول هابل في مرصَد ماونت ويلسون في كاليفورنيا حين اكتشف أنَّ الضوء المنبعث من المجرَّات البعيدة قد تحوَّل بشكلٍ ملحوظٍ نحو طيف اللون الأحمر، كما اكتشف أنَّ المجرَّاتِ تتباعد عن الأرض كما عن بعضها البعض بشكلٍ أسرع، عُرِفت تلك الملاحظتان الفلكيَّتان باسم (قانون هابل).

وصل هابل لنتائجه بعد دراسةِ وقياس المسافة والأبعاد بين المجرَّات المختلفة ومقارنتها مع مجموعةٍ مختلفةٍ من القياسات والأبعاد التي توصَّل إليها عالمُ الفلك الأمريكي (فيستو سليفر) حين عمل على قياس أطياف الضوء القادمة

---

١ - A Universe from Nothing, Lawrence M. Krauss, (Simon & Schuster Pres., 1st, New York, 2012). p. 28

من تلك المجرَّات، تمَّ فهمُ هذه الظاهرة في ذلك الوقت على أنَّها ناتجةٌ عن (تأثير دوبلر) المعروف. ذلك التأثيرُ الذي سمِّي على اسم الفيزيائي النمساوي كريستيان دوبلر، الذي أوضح في عام (١٨٤٢م) أنَّ الموجاتِ التي تصلك من مصدرٍ متحرِّكٍ ستتمدَّد إذا كان المصدر يتحرَّك بعيدًا عنك، وستنضغط إذا كان يتحرَّك نحوك.[١]

وهكذا استنتج العلماءُ أخيرًا من دراسة ظاهرة (دوبلر) (ظاهرة الانحراف الأحمر) أنَّ كلَّ المجرَّات تبتعد عنَّا، وعن بعضها البعض بسرعاتٍ تتناسب مع أبعادها، كما استنتجوا أنَّ المجرَّات البعيدة عنَّا تبتعد بأسرع ممَّا تبتعد به المجرَّاتُ القريبة.[٢]

مثال ذلك في صوت صافرة القطار أو سيارة الإسعاف حيث يبدو صوتُها أعلى إذا كان القطار أو سيارة الإسعاف تتحرَّك نحوك، وتنخفضُ إذا كانت تتحرَّك بعيدًا عنك. اتَّضح أنَّ نفسَ الظاهرة تحدث لموجات الضوء مثل الموجات الصوتية، وإن كانت لأسبابٍ مختلفةٍ نوعًا ما ستتمدَّد موجاتُ الضوء القادمة من مصدرٍ يبتعد عنك، إمَّا بسبب حركتها الموضعية في الفضاء، أو بسبب توسُّع الفضاء المتداخل، ومن ثَمَّ ستظهر أكثرَ احمرارًا ممَّا ستكون عليه بخلاف ذلك، لأنَّ اللون الأحمر هو نهاية الطول الموجي المرئيِّ للطيف الطويل، بينما الموجاتُ القادمة من مصدرٍ تتجه نحوك ستنضغط وستظهر أكثرَ زرقةً.[٣]

وفق هذه الاكتشافات والملاحظاتِ العلمية أدرك هابل البعدَ الهائل بين المجرَّات فضلًا عن حجم الكون وتوسُّعه، بالمقابل منطقيًا يمكن استنتاجُ أنَّ المجرَّات التي تبتعد عن بعضها البعض، وتبتعد عنَّا الآن كانت في الماضي البعيدِ متقاربةً جدًّا من بعضها البعض لدرجة أنَّها كانت في وحدةٍ واحدة، وأنَّها قد تمَّ ضغطُها في مادَّةٍ كونية ذاتِ كثافة عاليةٍ للغاية، وأنَّ مادَّة الكون كلَّها لا

---

١ A Universe from Nothing, Lawrence M. Krauss, p. 33

٢ الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم، ١٣١.

٣ A Universe from Nothing, Lawrence M. Krauss, p. 33

بدَّ أنَّها كانت محشورةً في حيّزٍ أصغرَ من قبضة اليد، وأنَّ تمدُّد الكون المرصود قد نتج عن نوعٍ من القوَّة الدافعة الأولية، أو بالحري انفجارٍ للمادَّة المتجمعة تلك. وهكذا سرعان ما أُطلِق على هذا الانفجار النظري للكون اسمُ (الانفجار العظيم). أيَّد ذلك لاحقًا اكتشافُ العالمين أرنو بينزياس وروبرت ويلسون، إشعاعًا خافتًا ينتشر في الكون في جميع الاتِّجاهات، أثبت هذا الإشعاعُ الميكروي في ما بعد أنَّه (أحفورةٌ) كهرومغناطيسية ناتجةٌ عن الانفجار العظيم، وقدَّم دليلًا قويًّا ومستقلًا لإثبات نظرية الكون المتوسِّع. كما سجَّل القمرُ الصناعي التابع لناسا (COBE) (مستكشف الخلفية الكونية) في أوائل عام (١٩٩٢م) اختلافاتٍ طفيفةً في إشعاع الخلفيَّة هذا؛ أثبت التوزيعَ غيرَ المتماثل المرصود للمادَّة في جميع أنحاء الكون المعروف.[١]

ثانيًا: نظريَّة الانفجار العظيم

يمكننا استقراءُ صورة الانفجار العظيم بالعودة إلى الوقت الذي كان فيه عمُرُ الكون حواليَ ثانيةٍ واحدةٍ حيث يُعتقَد أنَّ كلَّ المواد الموجودة الآن في الكون كانت مضغوطةً في بلازما كثيفةٍ ينبغي أن تكون درجةُ حرارتِها حواليَ ١٠ مليارات درجةٍ (مقياس كلفن). عند هذه الدرجة يمكن أنْ تحدث التفاعلاتُ النوويَّةُ بسهولةٍ بين البروتونات والنيوترونات حين ترتبط وتنفصل عن بعضها البعض مُحْدِثةً المزيدَ من الاصطدامات.[٢]

يتحدَّد بدءُ الوجود بانفجارٍ كونيٍّ عظيمٍ استطاع علماءُ الفيزياء ضبْطَه ابتداءً من ($١٠^{-٤٣}$ ثانية)[٣] بعد حدوثه، حيث كان الكونُ كرةً بالغةَ الصِّغَر ($١٠^{-٣٣}$ سم)،[٤] وهائلةَ الحرارة ($١٠^{+٣٢}$)،[٥] ولم يستطع علماءُ الفيزياء الرجوعَ إلى البداية

---

١ Atheist Universe, David Mills, P. 66

٢ A Universe from Nothing, Lawrence M. Krauss,

٣ جزء من عشرة ملايين من ترليون ترليون ترليون من الثانية.

٤ جزء من مليون بليون بليون بليون من السنتمتر.

٥ مئة ألف بليون بليون درجة مئوية.

أكثرَ من ذلك حتى الآن. عمليًّا ليس لدى الفيزيائيين أدنى فكرةٍ عمَّا يمكنه تفسيرُ ظهور الكون، فليس بالإمكان الرجوعُ بالزمن إلى أقلَّ من (١٠ $^{-٤٣}$ ثانية) ولا يمكن تعدِّي ذلك؛ لأنهم حينها سيصطدمون بـ(جدار بلانك) الشهير، المسمَّى هكذا لأنَّ الفيزيائيَّ الألماني المعروفَ كان عاجزًا عن تفسير سلوك الذرَّات في ظروفٍ قد تكون فيها الجاذبيةُ قد بلغت أقصاها.[١]

واليوم تبرز هنالك فرضيَّةٌ أخرى تعرف باسم (النموذج الدوري). ترى أنَّ الانفجار العظيم لم يحدث مرَّةً واحدة فقط، بل هو حدَثٌ متكرِّرٌ في الكون وبدوراتٍ عدَّة من التطوُّر، في كلِّ دورةٍ منه يَخْلُق الانفجارُ العظيم مادَّةً ساخنة وإشعاعًا مصاحبًا يتمدَّد ويبْرُد مشكِّلًا في كلِّ مرَّةٍ المجرَّات والنجومَ الموجودة اليوم. ثمَّ بعد تريليون سنة أو نحوِ ذلك يُحدِث انفجارًا كبيرًا جديدا تبدأ معه دورةُ الحياة بالعودة مرَّةً أخرى من جديد.[٢]

والسؤالُ الذي ينشأ عن هذا ما إذا كان الكون سيستمرُّ في تمدُّده أو أنَّه في النهاية سوف يتقلَّص بفعل وزنه هو نفسه؟ هذا السؤالُ يلحُّ حاليًّا على علماء الفلك كما يلحُّ أيضًا على علماء فيزياء الجُسَيْمات الذين يحاولون في مختبراتهم الأرضية إعادةَ تفسير الكثير من الفرضيَّات التي رافقت ظهورَ الكون المبكِّر.[٣]

ثالثًا: عمر الكون

وفق الإمكانيَّات البسيطة التي امتلكها هابل ومن معه، فإنَّ الانفجار العظيم ومن ثَمَّ عمُرَ الكون قد حدث قبل حوالي (١,٥) مليار سنة. على الرغم من أنَّ بعض الآراء التي ظهرت في سنة (١٩٢٩) في تينيسي وأوهايو وبعض الولايات الأخرى، أشارت إلى أنَّ عمُرَ الأرض يزيد عن (٣) مليار سنة. ومع كلِّ هذا كان

---

١ الانفجار العظيم للنظام – نظرية كلِّ الأشياء، محمد ياسين الأخرس، ٣٤ – ٣٥.

٢ Endless universe: Beyond the Big Bang, Paul j. Steinhardt and Neil Turok, (Double-day Printing, New York, 2007). p. 18

٣ النهاية، ١٩٣ – ١٩٤.

من المحرج للعلماء أنْ يكتشفوا أنَّ الأرض أقدمُ من الكون، والأهمُّ من ذلك أنَّه يشير إلى وجود خطأٍ ما في التحليل. حيث اعتمد هابل ومن معه على حساب بُعْدِ المجرَّات عن طريق متابعة انفجار المجرَّات والنجوم وكثافةِ انتشارها في السماء. حيث أشار رقمُ معدَّل التوسُّع الذي حصلوا عليه إلى أنَّ متوسِّطَ المسافة بين المجرَّات يبلغ مليون فرسخٍ فلكيّ (٣ ملايين سنة ضوئية) وأنَّها تتحرَّك بعيدًا عنا بسرعة ٥٠٠ كيلومتر/ ثانية. ومع ذلك لم يكن هذا التقديرُ دقيقًا جدًّا، والسببُ في ذلك بسيط نسبيًّا، فإذا كان كلُّ شيءٍ يتباعد عنَّا اليوم، ففي أوقاتٍ سابقةٍ كان أقربَ ممَّا هو عليه الآن، ومع وجود الجاذبية في الكون كقوَّةٍ جاذبةٍ، كان من الطبيعي تباطؤُ تمدُّدِ الكون، يعني هذا أنَّ المجرَّة التي نراها تبتعد عنَّا اليوم بسرعة ٥٠٠ كيلومتر/ ثانية كانت تتحرَّك بشكلٍ أسرعَ في وقتٍ سابق.

ومع تطوُّر علوم الفلك، وصناعةِ التلسكوبات، ومتابعة انفجار النجوم، ورصدِ حجم المجرَّات اليوم اختلفت تلك التقديراتُ، فملاحظة بقعةٍ مظلمةٍ من تلسكوب كبير -من النوع الموجود الآن- يمكن تمييزُ أكثرَ من (100.000) مجرَّة، كلٌّ منها يحتوي على مليارات النجوم. وبما أنَّ المستعمراتِ العظيمةَ تنفجر مرَّةً واحدةً كلَّ مئة عام، ومع إمكانيَّة رؤية ومتابعةِ هذا العدد الهائل من المجرّات، أصبح من المسلَّم به رؤيةُ انفجار ثلاثة نجومٍ في ليلةٍ ما. من هنا تمكَّن العلماءُ من تحديد ثابت هابل بدرجة عدم يقينٍ تقلُّ عن ١٠٪، وهكذا استنتجوا الرقمَ الجديد لحركة المجرَّات بعيدًا عنَّا، والذي مفادُه حوالي ٧٠ كيلومترا/ الثانية بمتوسِّط بُعْد (٣) ملايين سنة ضوئية، ونتيجةً لذلك استُنتج أنَّ عمُرَ الكون يقترب من (١٣) مليار سنةٍ بدلًا من (١,٥) مليار سنةٍ أو حتى (٣) مليار سنة.[١]

---

١ A Universe from Nothing, Lawrence M. Krauss, p. 42

المبحث الثاني

خلق الكون وفق منظور اليهودية والمسيحية

أوَّلًا: النص الكتابي للخلق

يؤمن اليهودُ والمسيحيون بما جاء في كتاب العهد القديم حول نصوص تكوين العالم وإنشائه، والتي وردت في سفر التكوين، حيث يقول السفْرُ: (١فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. ٢وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً، وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ، وَرُوحُ اِلله يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. ٣وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ»، فَكَانَ نُورٌ. ٤وَرَأَى اللهُ النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. ٥وَدَعَا اللهُ النُّورَ نَهَارًا، وَالظُّلْمَةُ دَعَاهَا لَيْلاً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا.٦وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ جَلَدٌ فِي وَسَطِ الْمِيَاهِ. وَلْيَكُنْ فَاصِلاً بَيْنَ مِيَاهٍ وَمِيَاهٍ». ٧فَعَمِلَ اللهُ الْجَلَدَ، وَفَصَلَ بَيْنَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَحْتَ الْجَلَدِ وَالْمِيَاهِ الَّتِي فَوْقَ الْجَلَدِ. وَكَانَ كَذلِكَ. ٨وَدَعَا اللهُ الْجَلَدَ سَمَاءً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَانِيًا. ٩وَقَالَ اللهُ: «لِتَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ تَحْتَ السَّمَاءِ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَلْتَظْهَرِ الْيَابِسَةُ». وَكَانَ كَذلِكَ. ١٠وَدَعَا اللهُ الْيَابِسَةَ أَرْضًا، وَمُجْتَمَعَ الْمِيَاهِ دَعَاهُ بِحَارًا. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. ١١وَقَالَ اللهُ: «لِتُنْبِتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلاً يُبْزِرُ بِزْرًا، وَشَجَرًا ذَا ثَمَرٍ يَعْمَلُ ثَمَرًا كَجِنْسِهِ، بِزْرُهُ فِيهِ عَلَى الأَرْضِ». وَكَانَ كَذلِكَ. ١٢فَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلاً يُبْزِرُ بِزْرًا كَجِنْسِهِ، وَشَجَرًا يَعْمَلُ ثَمَرًا بِزْرُهُ فِيهِ كَجِنْسِهِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. ١٣وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَالِثًا. ١٤ وَقَالَ اللهُ: «لِتَكُنْ أَنْوَارٌ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتَفْصِلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَتَكُونَ لآيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينٍ. ١٥وَتَكُونَ أَنْوَارًا فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ». وَكَانَ كَذلِكَ. ١٦فَعَمِلَ اللهُ النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ: النُّورَ الأَكْبَرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ، وَالنُّورَ الأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ، وَالنُّجُومَ. ١٧وَجَعَلَهَا اللهُ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُنِيرَ عَلَى الأَرْضِ، ١٨وَلِتَحْكُمَ عَلَى النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَلِتَفْصِلَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. ١٩وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا رَابِعًا. ٢٠وَقَالَ اللهُ: «لِتَفِضِ الْمِيَاهُ زَحَّافَاتٍ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ،

وَلْيَطِرْ طَيْرٌ فَوْقَ الأَرْضِ عَلَى وَجْهِ جَلَدِ السَّمَاءِ». ٢١فَخَلَقَ اللهُ التَّنَانِينَ الْعِظَامَ، وَكُلَّ ذَوَاتِ الأَنْفُسِ الْحيَّةِ الدَّبَّابَةِ الَّتِي فَاضَتْ بِهَا الْمِيَاهُ كَأَجْنَاسِهَا، وَكُلَّ طَائِرٍ ذِي جَنَاحٍ كَجِنْسِهِ. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. ٢٢وَبَارَكَهَا اللهُ قَائِلاً: «أَثْمِرِي وَاكْثُرِي واملئِي الْمِيَاهَ فِي الْبِحَارِ. وَلْيَكْثُرِ الطَّيْرُ عَلَى الأَرْضِ». ٢٣وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا خَامِسًا. ٢٤وَقَالَ اللهُ: «لِتُخْرِجِ الأَرْضُ ذَوَاتَ أَنْفُسٍ حَيَّةٍ كَجِنْسِهَا: بَهَائِمَ، وَدَبَّابَاتٍ، وَوُحُوشَ أَرْضٍ كَأَجْنَاسِهَا». وَكَانَ كَذلِكَ. ٢٥فَعَمِلَ اللهُ وُحُوشَ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا، وَالْبَهَائِمَ كَأَجْنَاسِهَا، وَجَمِيعَ دَبَّابَاتِ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا. وَرَأَى اللهُ ذلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ. ٢٦وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ». ٢٧فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. ٢٨وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا واملؤوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ». ٢٩وَقَالَ اللهُ: «إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمْ كُلَّ بَقْل يُبْزِرُ بِزْرًا عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ، وَكُلَّ شَجَرٍ فِيهِ ثَمَرُ شَجَرٍ يُبْزِرُ بِزْرًا لَكُمْ يَكُونُ طَعَامًا. ٣٠وَلِكُلِّ حَيَوَانِ الأَرْضِ وَكُلِّ طَيْرِ السَّمَاءِ وَكُلِّ دَبَّابَةٍ عَلَى الأَرْضِ فِيهَا نَفْسٌ حَيَّةٌ، أَعْطَيْتُ كُلَّ عُشْبٍ أَخْضَرَ طَعَامًا». وَكَانَ كَذلِكَ. ٣١وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا سَادِسًا.[1]

ثانيا: دراسة النص الكتابي حول الخلق

وفقًا لسفر التكوين خلَقَ الله الكون في ستَّة أيَّام: في اليوم الأوَّل خلق الله الظلمة والنور، وفي الثاني الماءَ والسماء، وفي الثالث الأرضَ والبحار والغطاء النباتي، وفي الرابع الشمسَ والقمر والنجوم، وفي الخامس الحشراتِ والأسماكَ والطيور، وختم الخلقَ في اليوم السادس حين خلق الحيوانات والبشر، وفي اليوم السابع (يوم السبت) أنهى الله العمل الذي قام به، وتوقَّف عن القيام بأيِّ عملٍ،

---

١ سفر التكوين ١: ١ – ٣١.

واستراح في هذا اليوم وباركه وقدَّسَه.[١]

مسألة تقديس السبت هذه وردت في العديد من أسفار العهد القديم[٢]

ومعظمُ النصوص حول تقديس يوم السبت بما في ذلك نسخةُ الوصايا العشر في سفر التثنية،[٣] لا تشير كلُّها إلى مسألة الخلق؛ من أجل ذلك ينشأ الشكُّ في أنَّ نصَّ سفر التكوين حول الخلق (١: ١٢ - ١٥) قد استُمدَّ من مدرسةٍ فكرية متميّزةٍ تعود إلى فترة متأخّرةٍ نسبيًّا في تاريخ الديانة اليهودية. بناءً على هذه الاعتبارات وغيرها، ينسب علماءُ نقد الكتاب المقدَّس هذ المقطع إلى مصدرٍ (كهنوتي) حيث يعمل الله هنا بطريقةٍ تذكّرنا بعمل الـ(كاهن) حيث يمنحُ البركاتِ.[٤] أضف إلى ذلك أنَّ كيفيَّة خلق العالم في آيات الخلق التي وردت في سفر التكوين تحمل العديد من أوجه التشابه اللافتةِ للنظر مع آليَّة بناء الخيمة المنصوص عليها في سفر الخروج.[٥]

بالمقابل تناول العديدُ من علماء مقارنة الأديان ونقدِ النصِّ الديني قصَّةَ نشأة الخلق التوراتية، وقارنوها مع ما وُجد من قصصٍ ميثيولوجية لأممٍ وحضاراتٍ قديمة غابرة تناولت نشأةَ الكون، حيث وجدوا الكثيرَ من العناصر المتشابهة التي تؤكّد أنَّها من سرْدٍ قصصيٍّ واحد تقريبًا، منها على سبيل المثال أسطورةُ خلق الإله البابلي مردوخ للسموات والأرضِ عن طريق فصل الماء عن السماء والأرض.[٦]

---

١ سفر التكوين ٢: ١ - ٣، ولقد ردَّ القرآن الكريم على فكرة استراحة الله تعالى (حاشاه) في هذا اليوم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

٢ ينظر: المزمور ١٠٤/ سفر الأمثال ٨: ٢٢ - ٣١.

٣ ٥: ١٢ - ١٥.

٤ ينظر على سبيل المثال: اللاويين ١: ٢٢، ٢٨/ العدد ٦: ٢٢ - ٢٧/ تقديس يوم السبت في حزقيال ٤٤: ٢٤. وغيرها.

٥ The Jewish Study Bible, Adele Berlin, and Marc Zvi Brettler Editors, Michael Fishbane, Consulting Editor, (Jewish Publication Society, Oxford University Press, Inc. 1999). P. 13

٦ Encyclopedia Judaica, Fred Skolnik and others, (Vol .7), (Macmillan Reference, Thomson Gale, 2nd, New York, 2007). P. 274

ومن المعلوم أنَّ الكثير من مسلَّمات الديانة اليهودية العقدية أخذَتْها من أدبيَّات الحضارة البابلية وتعاليم الديانة الزرادشتية نتيجةَ احتكاكها بهم إبَّان الترحيل البابلي الذي حدث لليهود على يد الملك البابلي نبوخذ نصر في سنة (٥٨٦ق.م)، تلك المسلَّماتُ التي وضعوا الكثيرَ منها في توراتهم حين جمعوها وأعادوا كتابتَها في بابلَ بعد ضياعها سابقًا، ولأكثرَ من مرَّة.[١]

تأثُّرُ الكتابات التوراتية اليهودية في قصَّة الخلق بما جاء في تراث الأمم السابقة التي عاش بنو اسرائيل في ظهرانيهم بات واضحًا، لذا يمكننا أن نلمس بعض المقاربات في عمليَّة خلق السموات والأرض أو الإنسان وغيرها من الوقائع التي جاءت في سفر التكوين، ونلمس ما يُقابلها من تصوُّراتٍ لعملية الخلق التي نجدها مبثوثة في الألواح القديمة لحضارات وادي الرافدين أو الحضارة المصرية أو حتى الأوغاريتية السورية.[٢]

ويمكن إجمالُ الأخطاء العلمية التي جاءت في قصَّة الخلق التوراتي كالتالي:

١- الآيات (١ - ٢): أوضح علمُ الفلك أنَّ الكون نشأ عن طبقةٍ غازيَّةٍ، بينما يضع النصُّ الكتابي الماءَ مكانَها.

٢- الآيات (٣ - ٥): لا يُعرف ما هو ولا من أين أتى أصلُ النور الذي ملأ الكون كما أورد نصُّ سفر التكوين! فمن المعلوم علميًّا أنَّ هذا النورَ يتكوَّن نتيجةَ التفاعلات المركَّبة التي تجري على سطح النجوم، وبحسب النصِّ التوراتي فإنَّ في هذه المرحلة من الخلق لم تكن النجوم قد كُوِّنت بعدُ، وفوق ذلك جعلُ وجودِ المساء والصباح في اليوم الأوَّل هو أمرٌ رمزيٌّ خالص، فالمساءُ والصباح عناصرُ

---

١ Jacob Neusner, The Perfect Torah (Brill Leiden, printed in the netherlands 2003). The Invention of Judaism, Torah and Jewish Identity from Deuteronomy, Paul, John J. Collins, (California, University of California Press, 2007).

٢ لمزيد من الاطلاع ينظر: خلق الإنسان والعالم في نصوص من الشرق الأدنى القديم، ٥٠، وما بعدها.

لليوم غيرُ قابلةٍ للإدراك إلَّا بعد وجود الأرض ودورانها تحت إضاءة نجمها الخاصّ الشمس.

٣- الآيات (٦ - ٨): أسطورة المياه تتابع هنا فصلُها إلى طبقتين بواسطة جلدٍ يسمح بتسرُّب المياه، وهذه الصورةُ لانشطار المياه إلى كتلتين غيرُ مقبولةٍ عمليًّا.

٤- الآيات (٩ - ١٣): كونُ الأرض في عصرٍ ما من تاريخها مغمورةٌ بالمياه، ثمُّ ظهورُ اليابسة منها، مقبولٌ تمامًا علميًّا. بيدَ أنَّ ظهور وجودِ عالَمٍ نباتيٍّ شديد التنظيم على الأرض، تكون عن طريق إنبات الحبوب قبل خلق الشمس، وكذلك تحقُّقُ تعاقب النهار مع الليل بدون وجود الشمس-التي تكوَّنت كما يقول سفر التكوين في اليوم الرابع- فهذا الأمرُ ليس له أيُّ أساسٍ علمي، وهو مخالفٌ للمنطق والطبيعة والقوانينِ البيولوجية.

٥- الآيات (١٤ - ١٩): إنَّ وصفَ الكاتب التوراتي مقبولٌ هنا، والنقدُ الوحيد الذي يمكن توجيهُه إلى هذا المقطع هو تحديدُ المكان الذي يشغله في مجموع الرواية. فالأرضُ والقمر قد انفتقا -وهذا معروفٌ- من نجمهما الأمِّ ألَا وهو الشمسُ. فوضعُ خلقِ الشمس والقمر بعد خلق الأرض هو في غاية المناقضة لأوثق المفاهيم المعتمدة في تكوين عناصر المجموعة الشمسية.

٦- الآيات (٣٠ - ٢٠): يحوي هذا المقطعُ مزاعمَ غيرَ مقبولةٍ؛ لأنَّ ظهور النوع الحيواني بدأ كما يقول سفرُ التكوين أوَّلًا من الحيوانات البحرية والطيور، ولكنَّ رواية التوراة تفيدُنا أنَّ الأرضَ ستكون في اليوم التالي. وسنراه في الآيات التالية مقرًّا للحيوانات.[١]

---

١ ينظر: التوراة والانجيل والقرآن والعلم، ٤٥ - ٤٨ (بتصرُّف).

ثالثًا: التفسير اليهودي لمسألة الخلق

١- التفسير الحاخامي لمسألة الخلق

تُعَدُّ مسألةُ الخلق إحدى المفاهيم المركزيَّة الثلاث في الديانة اليهودية إلى جانب الوحي، والفداء. والتفسيرُ الحاخامي اليهودي لتلك العملية يرى أنَّ الإله (يهوه) خلقَ كلَّ شيءٍ من العدم، ومع ذلك يعتقد بعضُ حاخامات اليهود ضرورةَ إعادة صياغةِ وترجمة النصِّ العبري المقدَّس بشكلٍ مختلف نوعًا ما عما يوجد الآن في النصِّ التوراتي؛ وذلك كي يناسب عقيدةَ الخلق من العدم، ومن ثَمَّ تنزيه الإله عن الاحتياج لشيءٍ ما في الخلق، حيث إنَّ آياتِ سفر التكوين السالفة الذكر (١ - ٣)، توحي بوجود شيءٍ ما قد أعطاه الله شكلًا محدَّدًا وخلقَ منه الأشياء.[١]

فعلُ الخلق (Ma'aseh Bereshit)، كان يُنظر إليه في العصر التلمودي، ولا سيَّما عصرُ معلمي التنائيم، على أنَّه ينتمي إلى المعرفة الباطنية، لذا ليس بالإمكان شرحُه وحتى معرفةُ حقيقته، كما كان يرى البعضُ من حاخامات اليهود. بالمقابل شرحَ البعضُ الآخرُ منهم تلك العملية، وحاول تفسيرَها من أجل الردِّ على الآراء الغنوصيَّة التي ظهرت في المجتمعات اليهودية التي كانت ترى أنَّ الإله يهوه لم يخلق العالمَ وحدَه، بل تدخَّلت الملائكةُ في خلقه وترتيبِ صنعه أيضًا، تلك العقيدةُ كانت ترى أنَّ ميخائيل (رئيس الملائكة) قد تولَّى ترتيبَ الخلق في الجنوب، وأنَّ غبرائيل (جبريل) تولَّى عملية الخلق في الشمال، بينما تولَّى الإله يهوه عملية ترتيب القياسات في المركز. كما حاولوا الردَّ على عقيدة أنَّ المادة التي خلق منها العالم كانت قديمةً معه أيضًا، وأنَّ العالم الحالي قد تمَّ إيجادُه بعد إنشاء العديد من العوالم التجريبية السابقة؛ كي يتمَّ تدميرُها لاحقًا.[٢]

الآراءُ البشرية التي أقحمها حاخاماتُ اليهود في تفسير الخلق حملت الكثيرَ

---

١ Encyclopedia of World Religions, Encyclopedia of Judaism, Sara E. Karesh and Mitchell M. Hurvitz, (Facts on File, Inc, New York, 2006). P. 104

٢ Encyclopedia Judaica, Fred Skolnik and others, (Vo. 5), P. 276

من الغرابة والبعد عن أبسط قوانين العقل والمنطق، منها ما جاء على لسان الرابي أباهو -على سبيل المثال- الذي أكَّد أنَّ العالم تمَّ إيجادُه إمَّا في شهر نيسان أو شهر تشرين العبريَّين!

كما أولَوا اهتمامًا خاصًّا بمشكلة خلق النور منذ اليوم الأوَّل: "وَقَالَ اللهُ: لِيَكُنْ نُورٌ، فَكَانَ نُورٌ". فبدون وجود الشمس التي خُلقت في اليوم الرابع (كما نصَّ سفر التكوين) ماذا يعني وجود ذلك النور ومن أين أتى؟ لذا كانت تلك المشكلةُ من أوائل المشاكل التي واجهت حاخامات اليهود في تفسيرهم لقصَّة الخلق التوراتية، ومن أجل الخروج من هذا الإحراج الذي وضعهم فيه كاتبُ النصِّ المقدَّس، ذهب البعضُ إلى القول بأنَّ النجوم تمَّ إيجادُها في اليوم الأوَّل، لكنْ لم يتمَّ "تعليقها في السماء" حتى اليوم الرابع!

تفسيراتٌ أخرى حاولت حلَّ مشكلة ذلك الضوء نجدها عند الحاخامين يعقوب والحاخام إليعازر حين قالا: "على الرغم من أنَّ الضوء الذي تمَّ إنشاؤُه في اليوم الأوَّل كان ضوءًا خاصًّا كان بإمكان المرء أن يراه من أحد أطراف العالم إلى الطرف الآخر منه، إلَّا أنَّه كان مخبَّأً ومحفوظًا للأبرار في الزمان اللاحق، وعَزَيَا ذلك إلى الفساد المستقبلي الذي سيحصل في العالم أيَّام الطوفان وبرج بابل! لذا رفض الدون إسحاق أبربنال في كتابه شرح التوراة كلَّ تفاسير حاخامات اليهود لذلك النصِّ قائلًا: "هذه التفسيراتُ ككلٍّ ليست صحيحةً بالنسبة لي".[١]

الأكثرُ غرابةً وأسطوريَّةً في علم الكونيَّات الحاخامي نجدُهُ في التفسير الذي أدلى به الحاخامُ يهوذا الذي قال: "عندما أراد القدُّوسُ (تبارك الله) أن يخلق العالم قال لملاك البحر افتح فمَك، وابتلع كلَّ مياه العالم، فقال الملاك: يا رب الكون يكفي أنْ أبقى مع خاصَّتي، عندها ضربَه بقدمه وقتله".[٢]

ولعلَّ أشدَّ الاختلافات في تفسير عمليَّة الخلق نجده بين مدرستي بيت شماي

---

١ פירוש על התורה, דון יצחק אברבנאל ,ירושלים. הוצאת ספרים בני ארבאל ירושלים. עמוד ג

٢ Encyclopedia Judaica, Fred Skolnik and others, (Vo. 5), P. 277

وبين مدرسة بيت هليل، حيث كانت ترى الأُولى أنَّ السمواتِ خُلقَت أوَّلًا ومن ثمَّ الأرض، بينما رأت الثانيةُ على العكس من ذلك. بالمقابل أصرَّت مدرسةُ بيت شماي على فكرة أنَّ النيَّة (الفكر) في الخلق كانت في الليل وأن فعلَ الخلق كان نهارًا، بينما رأت المدرسةُ الثانية (بيت هليل) أنَّ نيَّة الخلق وفعلَه حدثت نهارًا، وغير ذلك من الاختلافات الكثيرة.[١]

٢- التفسير الصوفي لمسألة الخلق

يركّز التصوُّفُ اليهودي على مسألة الكمال الروحي للخلق وإصلاحِه من خلال الاهتمام الكوني بأفعال الإنسان؛ وخصوصًا بعد إتمام عملية الخلق (rna'aseh Bereishit)، فمسألةُ مباركة الإله لليوم السابع لا تعني إكمالَ الخلق وإنجازَ كلِّ الأعمال؛ لأنَّه لا يقول هناك أنَّه قد خلق (ve'assa) أو قد صنع، ولكن الفعل العبري لـ (la'asot) يعني (Letaken) أي إصلاحًا أو إكمالًا، لذا لم يكتمل أيٌّ من الأشياء التي تمَّ إنشاؤُها في الأيَّام الستَّة للخلق، وبهذا فإنَّ كلَّ ما جاء إلى الوجود يحتاج إلى مزيدٍ من العمل من أجل إكماله. فالعالَمُ بكلِّ مكوّناته لا زال غيرَ مكتمل، وكذا الإنسانُ الذي يفتقر إلى الكمال، ولا يعني هذا أنَّ النقص والفشلَ في جوانب الخلق كانت من الخالق، كما لا يعني هذا بوجود سبب نقصٍ أو عيبٍ عرضيٍّ في الخلق، بل كلُّ هذا كان جزءًا مقصودًا من نفس خطَّة الخلق، ونيَّتها التي أرادها الإله، فحالةُ عدم الاكتمال هذه تظهر الهدفَ والغرض منها، وهكذا خُلِق الإنسانُ من أجل أن يساهم ويكمِّل نفسَه ونصيبَه في هذا الكون، ومن أجل

---

١ لمزيد من الاطلاع ينظر: Beacons on the Talmud's Sea, Analyses of Passages from the-Talmud, AND Issues in Halachah, Rabbi Menachem M. Schneerson, (Sichos in English, New York, 1997). Pp. 17-18

هذا الهدف أيضًا أُعطي الإنسانُ التوراة والميتسفوت[١] (Mitzvot).[٢]

كما يؤكِّد التصوُّفُ اليهودي على مسألة وجود عوالمَ أربعةٍ أخرى روحيةٍ لا يدركها العقلُ البشري خلَقَها الإلهُ جنبًا إلى جنبٍ مع عالمنا المادِّي، يوضِّح الحاخامُ يوسف يتسحاق هذا بالقول: "إنَّ العوالم الأربعة تمثِّل انتقالًا بين الوحدة الإلهية المطلقة وعالمنا المادِّي، الذي يرى نفسَه كوجود مكتفٍ ذاتيًا ومستقلًّا ... في نهاية المطاف لا يستطيع العقلُ البشري فهمَ الروحانية؛ لأنَّها مقيَّدةٌ بمحدوديَّةٍ جسديَّةٍ خاصَّة بها"[٣]

٣- التفسير الفلسفي اليهودي لمسألة الخلق

حاول الفلاسفةُ اليهود مواءمةَ الرواية التوراتية عن الخلق مع النظريَّات الفلسفية الإغريقية التي لا تتوافق معها. فيلون اليهودي[٤] على سبيل المثال أسَّس فلسفتَه حول الخلق وفقَ ما جاء في فلسفة أفلاطون، ولكنَّه عمل على إزالة بعض الالتباسات عنها كي يجعلَها توافق عقيدةَ الخلق اليهودية التي يؤمن بها، وهكذا

---

١ الميتسفوت: تتعلَّق بأسماء الخالق الـ ٦٢٠ اسمًا، والذي هو الكلُّ، والأسماءُ هي أجزاء وعناصر له. وهذه العناصرُ حسب درجات وتجلِّيات الروح، التي لا تتلقى نورَها دفعةً واحدة، بل تدريجيًا واحدًا تلو الآخر. وهكذا مُقَدَّر على الروح أن تحقِّق جميعَ الأسماء المقدَّسة البالغِ عددُها ٦٢٠ اسمًا. ينظر: Kabbalah For The Student, Michael Laitman, (Laitman Kabbalah Publishers, 1st, New York. 2008). p. 299

٢ The Mystical Tradition Insights into the Nature of The Mystical Tradition in Judaism, by Jacob Immanuel Schochet, (Kehot Publication Society, 2nd, New York, 1995). Pp. 56-57

٣ The Four Worlds, Rabbi Yosef Yitzchak Schneersohn, translated by Rabbi Yosef Marcus, (Kehot Publication Society, 2nd, New York, 2006). Pp.15-16,

٤ فيلون اليهودي (٢٠ق.م - ٤٠م): فيلو جودايوس، فيلسوف يهودي هلنستي، ولد في عائلةٍ يهودية ثريَّة وبارزةٍ في الإسكندرانية. كان فيلو متعلِّمًا جيدًا في كلٍّ من اليهودية والفلسفة اليونانية. أُرسل في عام ٤٠ بعد الميلاد من قبل الجالية اليهودية في الإسكندرية كرئيسٍ لوفد إلى الإمبراطور كاليجولا لطلب الإنصاف من الأخطاء التي ارتكبها السكَّان غيرُ اليهود. ينظر: Encyclopedia of Philosophy, Donald M. Borchert, (Vol. 7) (Thomson Gale, 2nd, USA. 2006)

قَبِلَ مفهومَ أفلاطون عن الإله الأبديّ الذي أوجد العالم، لكنَّه لم يستطع قبولَ مسألة أنَّ الإله خلقَ العالم من مادَّة أبديَّةٍ موجودةٍ معه مسبقًا، لذا حاول حلَّ المشكلة بالقول: "إنَّ الله خلق المادَّة التي أوجد منها العالم من لا شيء، ثمَّ خلق العالم لاحقًا منها"

فيلسوف يهودي آخَرُ هو سعديا بن غاؤون استخدم مناهجَ علم الكلام في شرح عملية الخلق والتكوين، حيث حاول سعديا إثبات أنَّ الكون خلق في الوقت المناسب، وأنَّ خالق الكون هو غيرُه، وأنَّه خلقه من العدم بدلًا عن القول بوجود مادَّةٍ أوليَّةٍ خلق الإلهُ الكون منها. استدلَّ الفيلسوفُ سعديا بأربع مقولاتٍ عقلية في كتبه على ذلك؛ منها ردُّه على أرسطو الذي كان يرى أنَّ الكون محدود الحجم، فلا يمكنه إذن أن يتحرَّك لوقتٍ غير محدود، أي أنَّه أبديٌّ؛ لأنَّ جسمًا محدودا لا يمكن أن يمتلك قوَّةً غيرَ محدودة. وغير ذلك من الحجج والأدلَّة.[١]

رابعًا: التفسير المسيحي لمسألة الخلق

١- محاولات التفسير الكهنوتي الأولى لخلق الكون

يُعدُّ الكاهنُ والفيزيائي البلجيكي جورج ليميتر (Lemaitre) أوَّل من اقترح فرضيَّةَ الانفجار العظيم، وذلك حين درس النسبيَّة العامَّة لأينشتاين وحلَّ معادلاتها، وأثبت من خلالها أنَّ الكون الذي نعيش فيه غيرُ ثابتٍ، بل إنَّه في الواقع آخذٌ في التوسُّع والازدياد. بدت الفكرةُ غيرَ معقولةٍ للغاية لدرجة أنَّ أينشتاين نفسَه نقد تلك النظريَّة قائلًا: "الرياضيَّاتُ الخاصَّة بك صحيحةٌ، لكنَّ فيزياءَك بغيضةٌ." وعلى الرغم من ذلك استمرَّ ليميتر في تجاربه لإثبات ما وصل إليه. ففي عام (١٩٣٠) اقترح أنَّ كونَنا المتوسِّع بدأ بالفعل نقطة متناهية الصِّغَر أطلق عليها اسمَ "الذرَّة البدائية" وأنَّ هذه البداية أشار إليها سفرُ التكوين حين قال: "يوم بلا أمس".

---

١ Encyclopedia Judaica, P. 277

استقبل المجتمعُ العلمي الذي كان يغلب عليه الإلحادُ أو اللاأدريةُ المتزايدة آراءَ الكاهن الكاثوليكي وأفكارَه منذ البداية بريبةٍ وتوجُّسٍ، وخصوصًا أنَّ نظريَّتَه تلك قريبةٌ بشكلٍ كبير من فكرة الكتاب المقدَّس عن الخلق، رافق ذلك ما حمله سجلُّ الكنيسة الكاثوليكية الدمويُّ من قمعٍ للنظريَّات العلمية والكونية، وخصوصًا أنَّها نفسُ الكنيسة (الكاثوليكية) التي سحقَتِ استكشافَ جاليليو لفكرة أنَّ الأرض تدور حول الشمس، على الرغم من أنَّه لا ينبغي أن يكون للعلم مشكلةٌ مع الدين، إلَّا أنَّ علماء الفلك والفيزياء حينها كان يساوِرُهم القلقُ في ما إذا كانت النظريةُ قد استُوحيت من مفهومٍ ديني.

تساؤلان أساسيان أزعجا ليمتر حينها وجعلاه يتراجع عن مقولته؛ أُولاهما: لماذا يجب أن يبدأ هذا الكون الأوليُّ فائقُ الصِّغَر في التمدُّد بعد أنْ كانت كلُّ مادَّته تتجمَّع معًا بفعل الجاذبية؟ وثانيهما: كيف يمكن ضغطُ كلِّ شيءٍ موجودٍ في الكون -الكمية الهائلة من المادَّة- في بقعةٍ صغيرة جدًّا بحجم قبضة اليد أو البيضة؟[١]

وهكذا استغنى ليميتر بالفعل لاحقًا عن نظريَّته تلك؛ لأنَّه أدرك أنَّه إذا أثبتت التجاربُ في ما بعدُ أنَّها غيرُ صحيحةٍ، فقد يتمُّ الطعنُ في ثوابت العقيدة المسيحية وطائفته الكاثوليكية في تفسيرها لسفر التكوين.[٢]

٢- تفسير علماء النصارى لنصوص الخلق

حاول المسيحيون حلَّ إشكال مسألة كيف يكون الإلهُ أبديًّا في هذا الكون الزمني؟ وهل إنَّ الإله داخلٌ في هذا المنظور أم لا؟ كما جاء في أطروحات القدِّيس أوغسطين اللاهوتية وغيرِه من آباء الكنيسة، وكانت فلسفةُ القدِّيس أوغسطين تقوم على فكرة أنَّ الزمان خُلِق ككيان، وأنَّ الكون يتوسَّع ليس في داخل الزمان،

---

١ Before The Big Bang the Prehistory of our Universe, Brian Clegg, (St. Martin's Press New York, 2009). P. 12

٢ A Universe from Nothing, Lawrence M. Krauss, p. 28

بل معه، وأنَّ الزمان هو المكان الذي نوجد فيه، أمَّا الأبديَّةُ فهي مكانُ تواجد الإله، ذلك المكانُ الذي لا يعتريه تغيُّرٌ ولا فسادٌ، لذا فإنَّ الجسر الواصل بينهما هو الحياةُ والموت وقيامة المسيح.[١]

كما حاول النصارى حلَّ إشكال الأيَّام السبعة التي جاءت في نصِّ سفرِ التكوين باعتبارها أيَّامًا عاديَّةً مقدار أحدِها (٢٤) ساعةً، وذلك عن طريق حساب فترةٍ ومقدار راحة الإله التي حدثت في اليوم السابع (يوم الأحد)، والتي لازالت مستمرَّةً، ومقدارُها (٧٠٠٠) سنة، ومن ثمَّ اسقاطُ تلك الفترة على باقي الأيام الستِّ الأخرى. وحجَّتُهم في هذه أنَّ الإله ارتاح من الخلق بعد خلق حوَّاء كما أكَّد ذلك قدِّيسُهم بولس (عبرانيين ٣: ٧ - ١٩؛ ٤: ٣ - ٥) وأنَّه دعا الإسرائيليين خلال تيهِهم في البرِّيَّة التي استمرَّت (٤٠) عامًا للدخول في راحته إلَّا أنَّهم رفضوا ذلك، كما أكَّد ذلك سفرُ العبرانيين (٤:١٠، ١١)، تلك الراحةُ التي ستنتهي في بداية اليوم الأوَّل لشفق عام (٢٨٧٤م). وهكذا زعموا أن يوم راحة الإله هي يوم واحدٌ مقدارُها (٧٠٠٠) عام، وليس ٢٤ ساعةً كما يُظَنُّ، وفق تلك العملية الحسابية يؤكِّد النصارى أنَّ مجموعَ تلك الأيَّام كافيةٌ لتنفيذ كلِّ الأعمال المخصَّصة كتابيًّا لأيَّام الخلق الستَّة الإبداعية![٢]

ومن الطبيعيِّ عدمُ التسليم بهذا التفسير المتعسِّفِ لراحة الإله غيرِ المنطقيِّ والمخالفِ للعقل كونَ الإله خارجًا عن الزمان والمكان وما يتعلَّق بهما، كما أنَّه أسمى من أن يُصيبه التعبُ والفتور نتيجةَ الخلق، وهذا ما أكَّده قرآنُنا ردًّا على تلك الفِرْيَة حين قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]،كما أنَّ (٧٠٠٠) سنةٍ التي حدَّدها ذلك التفسيرُ لليوم، والتي بمجموع أيَّامها السبعِ تبلغ مقدارَ (٤٩٠٠٠) سنةٍ،

---

١ Christian Eschatology and the Physical Universe, David Wilkinson, (t&t Clark, New York, 2010). P. 124

٢ Epiphany Studies In the Scriptures, Creation, Paul S. L Johnson, Philadelphia, U. S. A. 1938. Pp. 28-29

لا يمكن مقارنتُها بعُمُر الكون الافتراضيّ الذي حدَّده العلماءُ والبالغ ١٣,٧ مليار سنةٍ، أو حتى بعُمُر نشأة الكون الأُولى وانفصال أجزائه التي تمتدُّ لملايين السنين!

المبحث الثالث

خلق الكون وفق منظور الديانة الإسلامية

أوَّلًا: القرآن الكريم وطبيعة النصوص العلمية فيه

احتوى القرآنُ الكريم على أكثرَ من ألف وثلاثمئة آية، تحدَّثت عن الكون، وعن الإنسانِ وخَلقِه، وهذه الآياتُ تقترب من سدس القرآنِ.[١] لذا لا يمكن حصر أغلبها هنا، ولكن سنشير إلى البعض منها، والتي ترتبط بعملية الخلق والتكوين، تلك الآياتُ التي أوضحت أحدَ أوجه إعجاز القرآن الكريم العلمي وأوضحت حقيقةَ أنَّه كتابٌ سماوي وافق ما جاءت به نظريَّاتُ العلوم الحديثة.

وإعجازُ القرآن يُقصد به تحدِّي القرآنِ الناسَ أن يأتوا بمثله، ووصفُ الإعجاز هنا بأنَّه علميٌّ نسبةً إلى العلم، الذي هو حقيقةٌ مقطوع بها، تُطابِقُ الواقع، عليها دليلٌ، فإذا لم يكن مقطوعًا بها كانت وهمًا، أو شكًّا، أو ظنًّا، وإذا لم تطابق الواقعَ كانت جهلًا، وإذا افتقرت إلى الدليل كانت تقليدًا.[٢]

على عكس ما جاء في التوراة من تفصيلٍ لقصَّة خلق السموات والأرض في آياتٍ متتابعاتٍ من سفر التكوين، والتي يؤمن بها النصارى أيضًا -كما أوضحنا- فإنَّ القرآن الكريم يُجمِلُ الكثير من تلك الواقعة في العديد من آياته المنثورة في ثنايا سُوَرِه المختلفة، ولا يقتصر هذا الأمرُ على موضوع خلق الكون، بل في كلِّ

---

١ موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية، ٨.

٢ المصدر نفسه، ١٩.

المواضيع التي احتوت عليها سورُ القرآن الكريم، ولعلَّ نزوله منجَّمًا كان هو السببَ الرئيسيَّ في ذلك. ومن المعلوم أنَّ البعض من مفسِّري القرآن الكريم خلال القرون المتعاقبة قد ارتكبوا بعضَ الأخطاء في تفسير الآيات التي تناولت موضوع العلوم والمعارف الكونية، وذلك لأنَّهم لم يكونوا يُدركون معانيَها الدقيقة نتيجةَ بساطةِ معارف ذلك الزمان؛ لذا ظلُّوا كذلك حتى الفترة الأخيرة القريبةِ من هذا العصر، حيث تمكَّنوا من تفسيرها التفسيرَ الصحيح.[1] بالمقابل وردت في التفاسير الكثيرُ من الأقوال والآراء لعلماء الإسلام ومفسِّريه طابقت ما عليه علومُ الفلك اليوم. هذا التفاوتُ يُعَدُّ طبيعيًّا لاختلاف مدارك الإنسان ومفاهيمه وقابليَّته لإدراك معاني آيات القرآن الكريم ومراميها، يضاف إلى ذلك بساطةُ ما كانت عليه العلومُ والاكتشافات والمعارفُ في ذلك الزمان في ما إذا ما قورنت بما هي عليه الآن.

آياتُ القرآن الكريم التي تحدَّثت عن الكون وخلقِه، والتي أوضحت كيفيَّةَ إيجاده ومراحلَ تكوينه وطبيعة صنعِه كثيرةٌ ومتعدِّدة، حملت كلُّ واحدةٍ منها إشارةً مجتزأة أحيانًا عن تلك الواقعة، لذا لو أردنا اختيار بعضها وجمعَ أحداثها وترتيبَها من أجل تكوين صورةٍ شاملةٍ لمراحل ذلك الخلق، فسنجد أنفسنا أمام آياتٍ خمسٍ أوضحت حقيقةَ خلق الكون وإيجادِه، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٤].

---

١ التوراة والانجيل والقرآن والعلم، ١٥٠.

تشير هذه الآياتُ الكريمات إلى أنَّ الكون كان متكدِّسًا على هيئة جرمٍ واحدٍ (مرحلة الرتق)، وهذا الجرمُ الابتدائيُّ انفجر بأمرٍ من الله (مرحلة الفتق) فتحوَّل إلى سحابةٍ من الدخان (مرحلة الدخان)، خُلِقت منه الأرضُ والسموات (مرحلة الإتيان)، وأنَّ الكون منذ لحظةِ انفجاره ظلَّ في توسُّعٍ مستمرٍّ، وأنَّ هذا التوسُّع سوف يتوقَّف في المستقبل الذي لا يعلمه إلَّا اللهُ، بأمرٍ منه تعالى فيبدأُ الكون في الانطواء على ذاته، والتكدُّس في جِرْم واحد كهيئة الجِرْم الابتدائي الأوَّل الذي بدأ منه خلقُ السموات والأرض، فتتكرَّر عمليَّةُ الانفجار والتحوُّلِ إلى الدخان الذي تخلَّق منه أرضٌ غيرُ أرضنا الحالية، وسمواتٌ غير السموات التي في الحياة الدنيا، وهنا تنتهي رحلة الحياة الدنيا، وتبدأ رحلةُ الآخرة.[1]

ثانيًا: خلق الكون و إيجاده وفق النصِّ القرآني وآراء المفسِّرين

سنحاول هنا تناولَ بعض هذه الحقائق الكونية وفقَ آراء علماء الإسلام ومفسِّريه، كما أشرنا إليها من قبلُ؛ لنستشفَّ نظرتَهم إلى تلك المعارف وبيان صوابِهم فيها وأحيانًا خطأِهم في إدراك تفسيرها ومعانيها.

١- الخلق في ستَّة أيَّام

تحدَّثت الكثيرُ من آيات القرآن الكريم عن خلق السموات والأرض في ستَّة أيَّامٍ، وسنورد هنا آيةً واحدة في ذلك وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وسنشير إلى تفسيرها عند بعض المفسِّرين المتأخِّرين والمتقدِّمين منهم، وقد تباينَتْ أقوالهم في تفسيرها وتوضيح معناها حيث اختُلف في مفهوم تلك الأيَّام، كما قال الإمامُ ابن كثيرٍ في تفسيره لتلك الآية حين قال: "وَاخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، هَلْ كَلُّ يَوْمٍ مِنْهَا كَهَذِهِ الْأَيَّامِ كَمَا هُوَ الْمُتَبَادَرُ إِلَى الْأَذْهَانِ، أَوْ كُلُّ يَوْمٍ كَأَلْفِ سَنَةٍ كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ مُجَاهِدٌ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَيُرْوَى

---

١ من آيات الإعجاز العلمي، السماء في القرآن الكريم، ٨٢.

ذَلِكَ مِنْ رِوَايَةِ الضَّحَّاكِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ".[١]

هذا الاختلافُ نجده واضحًا عن الإمام القرطبي الذي قال في تفسير تلك الآية: "وَالْيَوْمُ: مِنْ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى غُرُوبِهَا. فَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَمْسٌ فَلَا يَوْمَ، قَالَ الْقُشَيْرِيُّ. وَقَالَ: وَمَعْنَى (فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) أَيْ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ، كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ سَنَةٍ، لِتَفْخِيمِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَقِيلَ: مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا.[٢]

من المؤكَّد أنَّ العرب -بشكلٍ عامٍّ- تفهم أنَّ كلمة يوم هو يوم الدنيا؛ لذا رأينا أنَّ الإمام القرطبيَّ -رحمه الله- يؤكِّد مقولةَ: "أنَّ مقدار اليوم هو من طلوع الشمس من مشرقها إلى غروبها؛ لذا فإن لم يكن شمسٌ فلا يوم". ولكنْ لا يمكن إسقاطُ هذا المفهوم على ذلك الخلق العظيم المتمثِّل بالكون وما فيه، من هنا نجد أنَّ أكثر المفسِّرين وعلماء الإسلام ذهبوا إلى أنَّها من أيَّام الآخرة، وليست من أيَّام الدنيا، ذلك اليومُ الذي مقدارُه ألفُ سنةٍ كما أوضح القرآنُ الكريم في ثناياه. بالمقابل تمسَّك القلَّة بمقولة أنَّها من أيَّام الدنيا، لذا استخدم الإمامُ القرطبي لفظةَ: "قيل" للتضعيف. وبالطبع إنَّ تفسير لفظ اليوم بهذا المعنى المرتبطِ بوجود الشمس وإسقاطِه على مراحل إيجاد العالم الممتدِّ إلى مليارات السنين لا يمكن منطقيًّا أنْ يصحَّ في تفسير تلك الآية فضلًا عن مخالفته ما عليه العلومُ التجريبية اليوم.

وفي تفسيرٍ آخَرَ اختار الإمام الطبريُّ قولَ ابن عباس: "خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، وَكُلُّ يَوْمٍ مِنْ هَذِهِ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ أَنْتُمْ".[٣] مؤكِّدا أنَّها ليست من أيَّام الدنيا قطعًا.

في المقابل نجد أنَّ تفسير الإمام البيضاويِّ احتوى على العديد من المعاني التي فيها فسحةٌ علميةٌ وعقلية أكبرُ حين أشار إلى معنيين مهمَّين بالقول: "سِتَّةِ أَيَّامٍ أي في ستَّة أوقات ... أو في مقدار ستَّة أيَّام، فإنَّ المتعارف باليوم زمان طلوع

---

١ تفسير القرآن العظيم، ٣/ ٣٨٣.

٢ الجامع لأحكام القرآن، ٢/ ٢١٩.

٣ تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٨/ ٥٩٤.

الشمس إلى غروبها ولم يكن حينئذ".[١]

المعنى الأوَّل: حين أشار إلى تفسير الأيَّام الستِّ بلفظ "أوقات" وهو تفسيرٌ أسلمُ من تحديدها بمفهوم اليوم الذي يحتوي على ديناميكيَّةِ شروق الشمس وغروبها المقدَّرِ بأربع وعشرين ساعةً فقط، فالأوقاتُ زمان مفتوحٌ ليس له حدٌّ، وهو يناسب ما حدَّده علمُ الفلك اليوم، وفي ضوء تقدُّم علوم الفلك قد تظهر في المستقبل لدينا تفاسيرُ ونظريَّاتٌ أخرى لنشوء العالم تخالف ما تمَّ تبنِّيه اليوم.

والمعنى الثاني: حين شكَّك في تفسير معنى كلمة اليوم، وفق التفسير الحرفيِّ للكلمة حين وضَّح أنَّ مفهوم اليوم هو آليَّة طلوع الشمس وغروبها ولم تكن تلك الآليَّةُ قد خُلقت بعدُ حينها.

لذا فإنَّ لفظة "أيام" التي هي بصيغة الجمع يمكن أن تعنيَ الأيَّام بمفهومها، كما تعني أيضًا الامتداد الزمنيَّ الطويل، أو دورةً زمنيَّةً غير محدَّدة -ولكنَّها ممتدَّةُ الطول- وهذا المعنى الذي يمكن أن يكون للكلمة في أكثرَ من موضعٍ في القرآن.[٢]

٢- رتق السماء وفتقها

كان التصوُّرُ السائد سابقًا أنَّ الكون ثابتٌ لا يتمدَّد، وأنَّه قديمٌ أزلي أبديٌّ بكلِّ جواهره وأعراضه، هكذا جاءت به الكثيرُ من الفلسفات والأديان الوضعيَّة والعقائد الفاسدة، وحين نزل القرآنُ الكريم أوضحَ لهم حقيقةَ أنَّ هذا الكون حادثٌ وليس بقديم، متحركٌ وليس بثابت، وأنَّه نشأ نتيجةَ انفصالٍ بعد التحامٍ في عناصره ومكوِّناته، وهكذا فهم الكثيرُ من علماء الإسلام ومفسِّريه وحاججَ علماءُ الكلام المخالفين بتلك العقائد. ولعلَّ أوضح دليلٍ قرآنيٍّ في ذلك قَوْلُه تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

---

١ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٣/ ١٥ - ١٦.

٢ التوراة والانجيل والقرآن والعلم، ١٦٧.

فسَّر الإمام الطبري الرَّتْقَ بقوله: "لَيْسَ فِيهِمَا ثُقْبٌ، بَلْ كَانَتَا مُلْتَصِقَتَيْنِ، يُقَالُ مِنْهُ: رَتَقَ فُلَانٌ الْفَتْقَ: إِذَا شَدَّهُ، فَهُوَ يَرْتُقُهُ رَتْقًا، وَرُتُوقًا". كما أورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ في تفسير تلك الآية قَوْلَهُ: "كَانَتَا مُلْتَصِقَتَيْنِ، فَرَفَعَ السَّمَاءَ، وَوَضَعَ الْأَرْضَ». وعَنْ قَتَادَةَ، والْحَسَنُ: كَانَتَا جَمِيعًا، فَفَصَلَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا بِهَذَا الْهَوَاءِ". وعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: فَتَقَهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، بَعْضُهُنَّ فَوْقَ بَعْضٍ، وَسَبْعَ أَرَضِينَ، بَعْضُهُنَّ تَحْتَ بَعْضٍ".[١]

وعلى الرغم من تطابق تفسير الإمام الطبريِّ مع ما أقرَّتْه المكتشفاتُ العلمية التجريبيةُ اليوم حول خلق الكون وإيجاده، إلَّا أنَّه اختار تفسيرًا آخَرَ لمعنى الرَّتْق والفتْق مفادُه: أنَّ السموات كانت رتقًا أي لا ينزل منها المطرُ، وكانت الأرض رتقًا لا يخرج منها نباتٌ، ففتقهما الله فأنزل مطرَ السماء، وشقَّ الأرض فأخرج نباتَها، كما قال في تفسيره: وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ: أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا مِنَ الْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ، فَفَتَقْنَا السَّمَاءَ بِالْغَيْثِ، وَالْأَرْضَ بِالنَّبَاتِ".[٢]

أقرَّ الإمام الرازيُّ بأنَّ أكثر المفسِّرين يميلون إلى تفسير الرَّتْق والفتْق بالمطر والأرض والنبات والشجر، وأنَّهم رجَّحوا هذا القولَ على الأقوال الأخرى إلَّا أنَّه جعله من الأقوال المرجوحة في المسألة بعد أنْ فصَّل كثيرًا فيها، وذكر وجوهَها الخمسة، مرجِّحًا أنَّ الفتْقَ والرتقَ هو للسماء والأرض، وليس للمطر والنبات والشجر حيث قال: "فَإِنْ قِيلَ: فَأَيُّ الْأَقَاوِيلِ أَلْيَقُ بِالظَّاهِرِ؟ قُلْنَا: الظَّاهِرُ يَقْتَضِي أَنَّ السَّمَاءَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، وَالْأَرْضَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ كَانَتَا رَتْقًا، وَلَا يَجُوزُ كَوْنُهُمَا كَذَلِكَ إِلَّا وَهُمَا مَوْجُودَانِ، وَالرَّتْقُ ضِدُّ الْفَتْقِ فَإِذَا كَانَ الْفَتْقُ هُوَ الْمُفَارَقَةَ فَالرَّتْقُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُلَازَمَةَ".[٣]

---

١ تفسير الطبري، ١٦ /٢٥٤ – ٢٥٧.

٢ تفسير الطبري، ١٦/ ٢٥٨.

٣ تفسير الرازي، ٢٢/ ١٣٧ - ١٣٨. وقريبٌ من هذا التفصيل ما ذكره الإمام القرطبيُّ في تفسيره، ١١/ ٢٨٣.

وتابع الطاهرُ بنُ عاشور في التحرير والتنوير ذلك قائلا: "يُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِالرَّتْقِ وَالْفَتْقِ حَقِيقَتَاهُمَا، أَيِ الِاتِّصَالُ وَالِانْفِصَالُ. ثُمَّ هَذَا الِاحْتِمَالُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَعْنَى الْجُمْلَةِ، أَيْ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ رَتْقًا وَاحِدًا، أَيْ كَانَتَا كُتْلَةً وَاحِدَةً ثُمَّ انْفَصَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الْأَرْضِ ... كما وَيَجُوزُ عَلَى هَذَا الِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ الرَّتْقُ وَالْفَتْقُ عَلَى التَّوْزِيعِ، أَيْ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ رَتْقًا فِي حَدِّ ذَاتِهَا وَكَانَتِ الْأَرْضُ رَتْقًا فِي حَدِّ ذَاتِهَا ثُمَّ فَتَقَ اللَّهُ السَّمَاوَات وفتق الله الْأَرْضَ".[١]

وإذا ما اخترنا تفسيرًا عصريًّا واكب المكتشفاتِ العلمية الحديثة فإننا سنرى تغيُّرًا في فهم ما أُجمل من آيات القرآن الكريم في تفسير تلك المعارف الكونية، ففي تفسير المنار مثلًا يقول الشيخ محمد رشيد رضا: "يُؤْخَذُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ مَسَائِلُ:

(١) أَنَّ الْمَادَّةَ الَّتِي خُلِقَتْ مِنْهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ كَانَتْ دُخَانًا أَيْ مِثْلَ الدُّخَانِ كَمَا قَالَ الرَّاغِبُ فِي مُفْرَدَاتِ الْقُرْآنِ، وَفَسَّرَ الْجَلَالُ الدُّخَانَ بِالْبُخَارِ الْمُرْتَفِعِ، وَذَهَبَ الْبَيْضَاوِيُّ إِلَى أَنَّهُ جَوْهَرٌ ظَلْمَانِيٌّ قَالَ: وَلَعَلَّهُ أَرَادَ بِهِ مَادَّتَهَا أَوِ الْأَجْزَاءَ الَّتِي رُكِّبَتْ مِنْهَا.

(٢) أَنَّ هَذِهِ الْمَادَّةَ الدُّخَانِيَّةَ وَاحِدَةٌ ثُمَّ فَتَقَ اللهُ رَتْقَهَا أَيْ فَصَلَ بَعْضَهَا مِنْ بَعْضٍ فَخَلَقَ مِنْهَا هَذِهِ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ السَّبْعَ الْعُلَا.

(٣) أَنَّ خَلْقَ الْأَرْضِ كَانَ فِي يَوْمَيْنِ، وَتَكْوِينَ الْيَابِسَةِ وَالْجِبَالِ الرَّوَاسِي فِيهِمَا وَمَصَادِرِ الْقُوتِ وَهِيَ أَنْوَاعُ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ تَتِمَّةَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ.

(٤) أَنَّ جَمِيعَ الْأَحْيَاءِ النَّبَاتِيَّةِ وَالْحَيَوَانِيَّةِ خُلِقَتْ مِنَ الْمَاءِ.

فَيُعْلَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ الْيَوْمَ الْأَوَّلَ مِنْ أَيَّامِ خَلْقِ الْأَرْضِ هُوَ الزَّمَنُ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ كَالدُّخَانِ حِينَ فُتِقَتْ مِنْ رَتْقِ الْمَادَّةِ الْعَامَّةِ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ مُبَاشَرَةً أَوْ غَيْرَ مُبَاشَرَةٍ وَأَنَّ الْيَوْمَ الثَّانِي هُوَ الزَّمَنُ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ مَائِيَّةً بَعْدَ أَنْ كَانَتْ

---

١ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ٨/ ١٦١.

بُخَارِيَّةً أَوْ دُخَانِيَّةً، وَإِنَّ الْيَوْمَ الثَّالِثَ هُوَ الزَّمَنُ الَّذِي تَكَوَّنَتْ فِيهِ الْيَابِسَةُ وَنَتَأَتْ مِنْهَا الرَّوَاسِي فَتَمَاسَكَتْ بِهَا، وَأَنَّ الْيَوْمَ الرَّابِعَ هُوَ الزَّمَنُ الَّذِي ظَهَرَتْ فِيهِ أَجْنَاسُ الْأَحْيَاءِ مِنَ الْمَاءِ وَهِيَ النَّبَاتُ وَالْحَيَوَانُ. فَهَذِهِ أَزْمِنَةٌ لِأَطْوَارٍ مِنَ الْخَلْقِ قَدْ تَكُونُ مُتَدَاخِلَةً. وَأَمَّا السَّمَاءُ الْعَامَّةُ وَهِيَ الْعَالَمُ الْعُلْوِيُّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَقَدَ سَوَّى أَجْرَامَهَا مِنْ مَادَّتِهَا الدُّخَانِيَّةِ فِي يَوْمَيْنِ أَيْ زَمَنَيْنِ كَالزَّمَنَيْنِ اللَّذَيْنِ خُلِقَ فِيهِمَا جِرْمُ الْأَرْضِ.[1]

٣- امتداد الكون وسعته

كان الاعتقادُ السائد سابقًا أنَّ السماء ثابتةٌ، وأنَّ المكتشفات العلمية حول السماء منذ زمن الإغريق ومن جاء بعدهم وحتى العصر الإسلامي لا تعرف أكثرَ من الكواكب الرئيسة في مجرَّتنا -مجرةِ درب التبَّانة- وما استطاعت أن تحصيَه من النجوم التي كانت تُرى وتُتَابَع بوسائلَ لا تقاس بما آلت إليه علومُ الفلك لاحقا، لذا كان الرأيُّ السائد أنَّ الكون بحجمه هذا قد يكون ثابتًا مع عدم تحجيم قدرة الله تعالى على إنشاء عوالمَ معه أو حتى غيره. ويبدو أنَّ مشكلة المسلمين -كما غيرهم- هي كيفيَّةُ حفظ السماء هذه القبَّةُ الواسعة من السقوط، وحركة النجوم والكواكب حيث لم تكن قد اكتُشفت الجاذبيَّةُ وقوانينُها بعدُ، لذا يبرز لنا في الأثر ما رواه الإمام القرطبيُّ في تفسيره قائلًا: "عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ مَسْعُودٍ إِلَى كَعْبِ الْأَحْبَارِ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ الْعِلْمَ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ لَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَا الَّذِي أَصَبْتَ مِنْ كَعْبٍ؟ قَالَ سَمِعْتُ كَعْبًا يَقُولُ: إِنَّ السَّمَاءَ تَدُورُ عَلَى قُطْبٍ مِثْلِ قُطْبِ الرَّحَى، فِي عَمُودٍ عَلَى مَنْكِبِ مَلَكٍ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: وَدِدْتُ أَنَّكَ انْقَلَبْتَ بِرَاحِلَتِكَ وَرَحْلِهَا، كَذَبَ كَعْبٌ، مَا تَرَكَ يَهُودِيَّتَهُ! إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:" إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولا" إِنَّ السَّمَاوَاتِ لَا تَدُورُ، وَلَوْ كَانَتْ تَدُورُ لَكَانَتْ قَدْ زَالَتْ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ نَحْوَهُ".[2]

---

١ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ٨/ ٣٩٧.

٢ تفسير القرطبي، ١٤/ ٣٥٧.

واليوم أثبتت العلوم التجريبيةُ أنَّ هناك تجاذبًا بين أجزاء الكون كلِّه بما يسمَّى بخطوط أو أقواسِ الجذب التي تعمل عملَ الأعمدة في البنيان، حيث إنَّ العُمُدَ المعروفة المادِّيةَ تؤثِّر أثرَها وتحمل أحمالها بإرساء قوًى أو ضغوطٍ تتساوى وتتضادُّ مع ضغوط الأبنية عليها، وهذا ما يحصل بالضبط بين الكواكب المتجاذبة. فكلُّ كوكبٍ يجذب الآخر بقانون الجاذبية (أي بقوَّةٍ تتناسب مع حاصل ضرب كتلتي الكوكبين على مربَّع المسافة بينهما)، ومحصِّلةُ هذه القوى الواقعة على الكوكب هي قوَّةٌ واحدة تُمْسكه في مكانه، أو فلَكِه، إذًا هناك أعمدةُ جذبٍ تمسك مراكز ثقل الكواكب والنجوم؛ لكي يظلَّ كلُّ جِرْمٍ وكلُّ شيءٍ في أبعادٍ متساوية من بعضها، وكأنَّها مقامةٌ فوق عُمُدٍ لا تُرى.[١]

وبالطبع كان تفسيرُ الكون وما فيه يقترب أحيانًا من مفهوم توسُّع السماء كما أقرَّتْه الاكتشافاتُ العلمية التجريبية، ويبتعد أحيانًا ليحملَ معنى القدرة والرزقِ وإنزال المطر وغيرِها. لذا جاء تفسيرُ قولِه تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧] متباينا يحمل العديدَ من الأوجه.

حيث اختار الإمامُ الرازيُّ ثلاثة أقوالٍ في المسألة قائلا: "وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ فِيهِ وُجُوهٌ أَحَدُهَا: أَنَّهُ مِنَ السَّعَةِ أَيْ أَوْسَعْنَاهَا بِحَيْثُ صَارَتِ الْأَرْضُ وَمَا يُحِيطُ بِهَا مِنَ الْمَاءِ وَالْهَوَاءِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى السَّمَاءِ وَسَعَتِهَا كَحَلْقَةٍ فِي فَلَاةٍ ... ثَانِيهَا: قَوْلُهُ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ أَيْ لَقَادِرُونَ ... ثالثها: إِنَّا لَمُوسِعُونَ الرزق على الخلق".[٢]

وفي تفسير القرطبيّ: "قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَقَادِرُونَ. وَقِيلَ: أَيْ وَإِنَّا لَذُو سَعَةٍ، وَبِخَلْقِهَا وَخَلْقِ غَيْرِهَا لَا يضيق علينا شي نُرِيدُهُ. وَقِيلَ: أَيْ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ الرِّزْقَ عَلَى خَلْقِنَا. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا. الْحَسَنُ: وَإِنَّا لَمُطِيقُونَ. وَعَنْهُ أَيْضًا: وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ الرِّزْقَ بِالْمَطَرِ".[٣]

---

١ الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم، ١٢٧.

٢ تفسير الرازي، ٢٨/ ١٨٨.

٣ تفسير القرطبي، ٩/ ٣٠.

بينما يرى البيضاويُّ: "وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ بقوة. وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة، والموسعُ القادرُ على الإنفاق. أو لَمُوسِعُونَ السماءَ أو ما بينها وبين الأرض أو الرزق".[١] وفي ابن كثير: "وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ أي قد وسَّعنا أرجاءَها فرفعناها بِغَيْرِ عَمِدٍ حَتَّى اسْتَقَلَّتْ كَمَا هِيَ".[٢]

وجاء في تفسير السعدي: "﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ لأرجائها وأنحائها، وإنا لموسعون -أيضًا- على عبادنا، بالرزق الذي ما ترك الله دابَّةً في مهامه القفار، ولججِ البحار، وأقطار العالم العلوي والسفلي، إلَّا وأوصل إليها من الرزق، ما يكفيها، وساق إليها من الإحسان ما يُغنيها.[٣] وفي التحرير والتنوير: "وَالْمُوسِعُ: اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ أَوْسَعَ، إِذَا كَانَ ذَا وُسْعٍ، أَيْ قُدْرَةٍ. وَتَصَارِيفُهُ جَائِيَّةٌ مِنَ السَّعَةِ، وَهِيَ امْتِدَادُ مِسَاحَةِ الْمَكَانِ ضِدُّ الضِّيقِ".[٤]

الخاتمة

على الرغم من ابتعاد تفسيرات علماء الأديان السماوية (اليهودية، المسيحية، الإسلام) في أحيانٍ كثيرةٍ عن حقيقة المراد من تلك النصوص، واقترابها حينًا آخَرَ، وهذا طبيعيٌّ بسبب ما أصاب النصوصَ الدينية اليهودية والمسيحية من تحريفٍ لبعض نصوصها، وأيضًا لبساطة العلوم والمعارف التي عاش في ظهرانيها أتباعُ تلك الأديان السماوية الثلاث في عصورهم الأولى، إلّا أنَّ الكثير من تلك النصوص احتوت على تصوُّرٍ شامل وافق ما عليه علومُ الفلك الحديثة في الغالب. والأهمَّ أنَّها خالفت النظريَّاتِ التي تنظر إلى الكون والطاقة والخلقِ نظرةً مادِّيةً بحتةً بعيدة عن الإيمان بوجود خالق مدبِّرٍ صانعٍ لهذا الكون. ويمكن لنا إيجازُ أهم نتائج الدراسة بما يأتي:

---

١ تفسير البيضاوي، ٥/ ١٥٠.

٢ تفسير ابن كثير، ٥/ ٢٩٨.

٣ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان، ٨١١.

٤ التحرير والتنوير، ٢٧/ ١٥.

١- إثباتُ حقيقة أنَّ العالَمَ ليس ثابتًا، بل متحرِّكًا يُدلِّل على حدوثه، ومن ثَمَّ أنَّ له خالقًا، وصانعًا، على العكس ممَّا يدعي أهلُ الإلحاد وغيرُهم.

٢- على الرغم من موافقة نصوص الديانتين اليهودية والمسيحية ما أثبته العلمُ الحديث، ووصل إليه من النظريَّات العلمية، إلَّا أنَّها من جهةٍ أخرى ناقضت وخالفت تلك النظريَّات في أحيانٍ كثيرةٍ أيضًا.

٣- كان لتحريف نصوص الديانتين اليهودية والمسيحية المقدسة، ودخولِ مرويَّات أهل الكتاب (الإسرائيليات) إلى كتب التفسير الإسلامي، أثرُه الكبيرُ في بروز التفسيرات العلمية الخاطئة في مسألة خلق الكون وإيجادِه من قِبَلِ علماء تلك الأديان.

٤- طابقت آياتُ القرآن الكريم ما عليه العلمُ الحديث من اكتشافاتٍ على الرغم من تفسيرها أحيانًا من قِبَل المفسِّرين المسلمين بتفسيراتٍ بعيدة عن جوهر معناها العلميّ والمعرفي.

التوصيات

بعد إتمام بحثنا نقدِّم للقائمين على مؤتمر الإعجاز أهمَّ التوصيات كما يأتي:

التوصيةُ بتشكيل هيئةٍ علمية تضمُّ العديد من الأساتذة في مختلف التخصُّصات العلمية والإنسانية تتمثَّل مهمَّتُها في:

أ. إعادةِ النظر بتفسير الآيات العلمية التي وردت عن الكون وإيجادِه، وتنقيتِها من الإسرائيليَّات، والآراءِ البعيدة عن المنطق، وأساسيَّات العلم الحديث.

ب. العملِ على كتابة تفسير علميّ عصري يعالج النقصَ الكبير في دراسات القرآن الكريم التفسيرية، يقتصر على دراسة الآيات الكريمة التي تناولت المعارفَ الكونية، والطبيعيةَ، والإنسانية، والتي يربو عددُها على أكثرَ من (١٠٠٠) آيةٍ قرانية، ومحاولةِ منحها بُعْدًا روحيًّا يقوم على أساسات الحضارة الإسلامية،

ويوضِّح قصورَ الحضارة الغربية المادِّية في تفسير تلك المعارف والعلوم.

ج. العملِ على إصدار قاموسٍ بالمصطلحات العلمية القرآنية، وتوضيحِ معناها، وأبعادِها، وربطِها مع المصطلحات العلمية الحديثة.

د. العملِ على إصدار موسوعةٍ علميةٍ تحتوي على المعارف الكونية، والطبيعية، والإنسانيةِ التي زخرت بها الآياتُ القرآنية والأحاديثُ النبوية التي وافقت ما عليه العلومُ الحديثة، أو حتى تفوَّقت عليه.

المصادر والمراجع

أوَّلًا: المصادر المقدَّسة

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس

ثانيًا: المصادر العربية

- الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم، سليمان عمر قوش، دار الحرمين، الدوحة، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- الانفجار العظيم للنظام – نظرية كلِّ الأشياء، محمد ياسين الأخرس، دار الشفيق للنشر والتوزيع، ط١، دمشق، ٢٠١١م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، ت محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.
- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، ت عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠.

- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، ت محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ترجمة: الشيخ حسن خالد، المكتب الإسلامي، ط٣، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، ت عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٤٣١م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
- خلق الإنسان والعالم في نصوص من الشرق الأدنى القديم، مجموعة من الباحثين، نقله إلى العربية: الأب سليم دكاش اليسوعي، دار المشرق، ط١، بيروت، ١٩٩٠م.
- من آيات الإعجاز العلمي، السماء في القرآن الكريم، زغلول النجار، دار المعرفة، ط٤، بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية، راتب النابلسي، دار المكتبي، ط٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- النهاية، فرانك كلوز، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٤م.

ثالثا: المصادر العبرية

- פירוש על התורה, דון יצחק אברבנא ,ירושלים. הוצאת ספרים בני ארבא ירושלים. עמוד ג

رابعًا: المصادر الأجنبية

- A Universe from Nothing, Lawrence M. Krauss, (Simon & Schuster Pres., 1st, New York, 2012).
- Atheist Universe the Thinking Person's Answer To Christian Fundamentalism, David Mills, (Ulysses Press, U.S.A, 2006).
- Beacons on the Talmud's Sea, Analyses of Passages from the Talmud, AND Issues in Halachah, Rabbi Menachem M. Schneerson, **(**Sichos in English, New York, 1997**).**
- Before The Big Bang the Prehistory of our Universe, Brian Clegg, (St. Martin's Press New York, 2009).
- Christian Eschatology and the Physical Universe, David Wilkinson, (t&t Clark, New York, 2010).
- Encyclopedia Judaica, Fred Skolnik and others, (Macmillan Reference, Thomson Gale, 2nd, New York, 2007).
- Encyclopedia of Philosophy, Donald M. Borchert, (Thomson Gale, 2nd, USA. 2006).
- Encyclopedia of World Religions, Encyclopedia of Judaism, Sara E. Karesh and Mitchell M. Hurvitz, (Facts on File, Inc, New York, 2006).

- Endless universe: Beyond the Big Bang, Paul j. Steinhardt and Neil Turok, (Doubleday Printing, New York, 2007).
- Kabbalah For The Student, Michael Laitman, (Laitman Kabbalah Publishers, 1st, New York. 2008).
- The Four Worlds, Rabbi Yosef Yitzchak Schneersohn, translated by Rabbi Yosef Marcus, (Kehot Publication Society, 2nd, New York, 2006).
- The Invention of Judaism, Torah and Jewish Identity from Deuteronomy, Paul, John J. Collins, (California, University of California Press, 2007).
- The Jewish Study Bible, Adele Berlin, and Marc Zvi Brettler Edıtors, Michael Fishbane, Consultıng Edıtor, (Jewish Publication Society, Oxford University Press, Inc. 1999).
- The Mystical Tradition Insights into the Nature of The Mystical Tradition in Judaism, by Jacob Immanuel Schochet, (Kehot Publication Society, 2nd, New York, 1995).
- The Perfect Torah, Jacob Neusner, (Brill Leiden, printed in the Netherlands, 2003).